مقـدمـــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادى له .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له المُلك ولهُ الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير .

ونشهد أن سيدنا ومولانا « محمداً » عبده ورسوله ، إمام المرسلين ، وقُدوة المصلحين العاملين ، عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين .

وبعد ...

فهل (فَضْل) التَّربية مُعلَّق على البناتِ وحدهُنّ ؟

وهل المكرمة التى تلْحق الآباء منوطة ، بحُسْنِ توجيههِنّ وحدهُنّ أيضاً ؟

إن من نافلة القول الجواب بالسَّلب ، لأن التَّربية عموماً مطلوبة ومأمُور بها ، دونما تمييز بين جنْس وآخر ، بين ذكر وأُنثى !!.

وهى بهذا تأخذ طابع المسؤولية الاجتماعية والكينونة الأسريّة ، فيتحتّم على الأبوين (الزوج والزوجة) القيام بأدائها على أكمل وجْه وأحسن صورة ، لتؤدى غرضها من بَعْد فى خلايا اجتماعية أُخرى ، كىْ ينتظم البناء العام .

إن المدلول اللغوى لكلمة (الفضل) ، الذى هو بمعنى الزيادة ،

obeikandl.com

يُشير إلى ما فى (الاهتمام) بتربية البنات من ضرورةٍ وأجْر وثواب .

ويُشير أيضاً إلى (القيمة) الإنسانية فى الأُنثى ، من حيث وظيفتها الاجتماعية ، سواء كانت زوجة أو أُمّاً .

وهذا ما أعلنه الإسلام منذ أمدٍ بعيد ، وحثَّ عليه .

ولا نحبُّ ، أو نميل إلى اعتبار (المرأة) فى الإسلام قضيّةً ، كما دَرَج على هذا السبيل بعض الكُتّاب الإسلاميين ، مدفوعين بغيْرةٍ وحميّة ، متسلحين بمنطق الحقّ والصِّدق ، إذ جرّهم إلى ذلك فتنة فكريّة وثقافية من فتن العصر الحالِىّ المنكود ، وحمل لواءها أُزهاط الدساسين والمفترين من أهل الغرب ، والذين استشرقوا أوْ آستغربوا !!!.

ولنا من التاريخ قرينة ودليل ، وخير شاهدٍ .

إذ لم تَعْرف حقَب الإسلام الطويلة ، وعلى مدى قُرونٍ ، أزمةً اجتماعية حادة عُرفت بقضيّة المرأة ، اصطرعت فيها الأفكار ، أو تباينت فيها الآراء ، أو تشنّجت فيها الأوْضاع ... وتعقّدت .

حتى فى العصور ـ القليلة ـ التى تدنى فيها المستوى السياسى ، وانحط المؤشّر الفكرى ، وتقهقرت فيها العقول !!!

حتى فى العصور التى اشتهرت بعُصُور (الحريم) و (الجوارى) لم يكُن للمرأة المسلمة (قضيّة) بالمعنى والحدود التى تعورف عليها فى المجتمع الغربى ..، سواء فى القديم أوْ فى الحديث .

وما من شك ـ أبداً ـ فى أن النظرة الأساسية التى اعتمدها الإسلام بالنسبة إلى المرأة ، من الناحية البشرية والإنسانية ، ثم تشريعه المستفيض فيما يتعلّق بكينونتها وعلاقاتها الاجتماعية ، قد رسمت الأُطر السليمة والصحيحة التى منعت ظهور ما يُسمى بالقضية على المستوى الفردى المتميِّز للمرأة .

أضف إلى ذلك القيمة الكُبرى التى أُضيفت عليها ، بل جعلتْها فى

obeikandl.com

المستوى الاجتماعى أهمَّ بكثيرٍ من شخصيَّة الرَّجُل ، فهى المعوَّل عليها فى بناء الأُسْرة ـ الخليّة الاجتماعيّة الأولى ـ بصلاحها يصلح المجتمع ، وبفسادها يفسد ويَنْهار .

لذا تعدَّت تربية البنات حدود المسئولية إلى حيِّزِ الأَجْرِ والْفَضْل ، والثواب الجزيل .

ومن هُنا أَحْببنا أن نخوض ميدان الرأى ، ونُسْهم مع الداعين إلى إقامة ما انهار وتداعى من هيكليتنا الاجتماعية المسلمة ، وإنهاض المرأة المسلمة من كبْوتها المعاصرة ، فى أسْلوب متوازنٍ لا تطْغى عليه التقاليد ولا الأعراف ...، أوْ تجرفه تيّارات التحلُّل والإباحية ... و ... التقدميّة !!.

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا ويُسدِّد خطانا ، ويهدينا سواء السبيل .

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

المؤلف

صيدا فى ١٥ رجب سنة ١٤٠٤
الموافق ١٧ أبريل (نيسان) ١٩٨٤

obeikandl.com

تـوْطئـــة

يرى « ابن خلدون » أنّ الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمْرها تعانى دائماً من (عُقْدة تقليد القوىّ) الذى تخضع لَهُ وتتأثّر إلى حدٍّ بعيدٍ بأفكاره وآرائه وسلوكه .

ولقد اعتُبر « ابن خلدون » من الناحية الفكرية التاريخية رائداً لِعلْم الاجتماع ، ولوْ أن هذا العِلْم قد آخذ على يد « دُرْكايْم » منْحى جديداً فقام على أُسُسٍ ماديةٍ بَحْتة ، فكان « دُرْكايم » ثالث ثلاثةٍ هُمْ : « كارل ماركس » و « سيجموند فرويْد » ، تحركت فى أعماقهم يهوديّتهم وحقْدهم على الأمم والشعوب لتدميرها عقائدياً وأخلاقياً واجتماعياً ، تساوقاً مع روح نصوص « بروتوكلات حُكماء صهْيون »

وبناءً على صِحة نظرية « ابن خلدون » من حيْث التجربة الواقعية التاريخية ، والشاهد المعاصر ، فإنَّ عالمنا العربىّ والإسلامى الذى رزح ردْحاً من الزمن تحت وطْأة الاستعمار تارةً والانتداب تارةً أُخرى قد عاش (عُقْدة تقليد القوى) وتأثّر بها إلى درجة العبودية الفكرية والسلوك الاجتماعى فى أوسع قطاعاتِه ، مما أدى إلى سلْبه تميُّز شخصيته المستقلّة..

ولقد تبدّى ذلك واضحاً مع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، فى مختلف شئون الحياة ، وها هى ذى (أمّتنا) الإسلامية الآن تُراوِح فى مضمار الحضارة بيْن التخلُّف والنُمُوّ !!!.

ولقد كان مَوْضُوع المرأة كعنصر وجُزْئية اجتماعية أحد المواضيع التى تمَخض عَنْها (الاشتباك) بيْن القوى والضعيف ، والذى سبّب خللاً شديداً مُدمّراً فى معُطيات السُّلوك الاجتماعى المتميِّز لدى الضعيف المغلوب على أمْره ، فَنَسى ما قدَّمت عقيدتُه وشريعتُه وفقهه على مدى التاريخ ، لهُ وللعالم بأسْره ، من أُسس سليمةٍ تُؤَدي إلى أرقى وأسمى أشْكال الحياة .

obeikandl.com

ولقد فَتح العالم العربى والإسلامى عيونه بعد خَدَر الهزائم والاندحار ، وتَقْطيع أوصالِهِ إلى قطاعاتٍ سياسيةٍ وعُنْصريّة ومذهبيّةٍ ... و (أشكال) دُويلاتٍ مَصْطنعة ، بأسها بيْنها شديد ..، فتح عيونَهُ على هزاتٍ تُزلزِلُ كيانه المتداعى ، فى عملية إجهازٍ على جريحٍ مُثخن .. .

فكانتْ (قضية تحرير المرأة) !!!.

وأنبرت إلى الساحة ألسنة وأقْلام تسرْبلت بالغيْرة المصطنعة ، رافعة شعار النهضة ، مدعومةً من وراء حجاب ، تضرب بمعْول الكلمة فى أساس ما تبقّى من هيْكل البناء ، لا ترقُب فى ضميرها القوْمى التاريخى ، ولا فى وجْدانها العقائدى إلّا ولا ذِمَّة .. .

وشطحت بها عبوديتها الفكْرية إلى حدّ الوقاحة الدنيئة فى التهجُّم على الدِّين ...، فهُيئت لها ، وجندت فى سبيل نشر سمُومها كل وسائِل الإعلام ، وصفّق لها الجُهلاء والعملاء على حدٍّ سواء ، ومن ورائهم إبليسهم وشيطانهم .

ولعلّ « قاسم أمين » أبْرز الأسماء والأشخاص ، فى المشرق العربى ، على هذا الصعيد ، وأكثرها جَذْباً وتأثيراً ..!.

ولستُ فى هذه التوطئة بصدد مناقشة أفكار الرجُل ، ذلك أنّه أخذ قِسْطَه ممنْ عاصروه ، أو جاءوا بعده ، فأيّده فى دعواه الكثيرون ، بعضهم فى تطلعاتِه (التحريرية الإصلاحيّة) ، كما يرون ويشتهون ، وبعضُهُم فى تبيان ما أخطأ الناس فى فهمه من آرائه .. وآخرون عارضوهُ وشجبوهُ وردُّوا عليه افتراءاتِهِ فيما فقهوهُ من كتاباتِه .. .

ولكنى أودُّ فقط ـ أن أبيّن أمراً غَفل عَنْه الطّرفان ، المؤيد والمعارض ، علَى حدٍّ سواء .

هُوَ : (التّناقض) الذى كان ينطوى عليه فكره فى محاولة التوفيق بيْن الدين وبيْن دعوى التحرُّر ، وراح يخبط فى متاهات الكلمة والعبارة و ... الفكرة !!.

يقول « قاسم أمين » :

(المرأة : إنسان مثل الرجُل ، لا تختلف عنه فى الأعضاء ووظائفها !!! ولا فى

obeikandl.com

الإحساس ولا فى الفكْر ولا فى كُلّ ما تقتضيه حقيقة الإنسان من حيث هو إنسان ، إلّا بقدر ما يستدعيه اختلافهُما فى الصِّنْف !!).

ونقُول : بأن المرأة (إنسان) مثل الرجل ، فليس فى هذا أدنى شك ، أما أنَّها لا تختلف عَنْه فى الأعضاء ووظائفها ، ففي هذا القوْل كُلّ المغالطة ، لأن التركيب (الفسيولوجى) للكينونة البشرية لدى كُل من الذكر والأنثى مُخْتلف ومُتباين ، بمعنى أن (الهرمونات) الذكورية و (الهرمونات) الأنثويّة أصلٌ أصيل فى الاختلاف الظاهر .. .

الرجل والمرأة كيانٌ بشريٌ ... صواب لا اختلاف فيه ، أما عَدَم الاختلاف فى الأعضاء الجسدية فخطأٌ مَحض .

وها نحْنُ نُفاجأ فى نَفْس الفقرة من كلام « قاسم أمين » بالتناقُض ، إذْ يقول : بأنه لا اختلاف فى الشعور والإحساس بيْن الرجل والمرأة إلّا بقَدْر ما يستدعيه اختلافهما فى الصِّنْف !!؟.

إذاً هُناك اختلافٌ فى الصنف ...، والعبارة واضحة مفهومة لا تحتاج إلى إطالة تحليل .

فكيف لا يكون اختلاف فى الأعضاء ، مع وجود اختلاف فى الصِّنْف ؟.

ويقول :

(إذا فاق الرُّجل المرأة فى القوة البدنّية والعقْليَّة فذلك إنما لأنّه اشتغل بالعمل والفكر أجيالاً طويلة كانت المرأةُ فيها (محرومة) !!! من استعمال القوتين المذكورتين و(مقهورة) !! على لزوم حالةٍ من الانحطاط تختلف فى الشدّة والضعف على حسب الأوقات والأماكن ...) .

إنها دعوى مغالطة ... .

لأن التزامه المبدئى بـ (اختلاف الصِّنْف) قد طُوِى تحت جناح عدم الاختلاف فى الأعضاء !!؟.

وقامت مغالطته الفكريّة على نفَس القاعدة الأصلية المسلَّم بها .

وها هُوَ ذا يعُود تلْقائياً إلى تقرير (اختلاف الصِّنف) من حيث الوظيفة

obeikandl.com

الاجتماعية التى يضطلع بها كُل من الرجُل والمرأة فى ميدان الأسرة ، فيقول : (ففى رأيى ، أن المرأة لا يُمْكنها أن تُدير منْزلها إلا بعَدْ تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبيّة ..).

إذاً ... فالوظيفة الاجتماعية للمرأة (إدارة المنزل) بكلِّ ما تقتضيه الإدارة من وعْى وإدراكٍ ومعرفة ـ من غير أن نُنكر ذلك ، أو نهضم بالضرورة حقّها وقسْطها .

وإنى لأتساءل : أيةُ قُوَّةٍ بدنيّة تستطيع المرأةُ أن تُمارِسَها وهى فى آخر مراحل الحمل ، فى الشهْر التاسع ـ مثلاً ـ !!!، ومن الذى حَرمها أو قَهَرها ..؟.

وأتساءَل أيْضاً : أيَّةُ قُوَّةٍ عقليةٍ ، أو نَفْسيةٍ شعوريّة تتألّق لدى المرأةِ فى حالة الحيْض والطَّمْث ، مدّة محدّدة فى كل شَهْر !!! مع الإقرار بأن الدراسات التجريبيّة قد أثبتت حالة الكدر والضيق والأرق عند المرأة خلال تلك الفترة ...، فمن الذى (حَرَمها) و (قَهَرَها) ...؟

ولا أودُّ أن أُطيل النقاش ، وأكتفى بما أسلفت .. .

ونعود إلى منطلقنا فى (التوطئة) ، بأنّ الأمر فى (قضية المرأة) !!! فى عالمنا العربى والإسلامى مع مطلع القرْن العشرين لا يعدو (التقليد) !! أو الإفساد المقصود !!.

ونحن لا نَفتئت على الحقيقة الإنسانية الفكرية الخالدة ..، إذا ما قُلْت بأن الإسلام ـ والإسلام وحده ، فى العقيدة والتشريع والسلوك ـ هو القمين والضامن لمجتمعنا أن يهتدى إلى الخيْر والرَّشاد .. .

خصوصاً من زاوية : (تربية البنات) ومالها من فضائل .

obeikandl.com